محاضرات في

مدرسة إنطاكية

أرجو في الرب أن أقدم فكرة مختصرة عن مفهوم "مدرسة" في الكنيسة الأولى، وأهم المدارس الرئيسية التي ظهرت في الشرق والغرب، وسمات مدرسة إنطاكية وآبائها.

هنا أود أن أشير إلى أهمية هذه المدارس، خاصة مدرستي الإسكندرية وإنطاكية:

١- قدام لنا آباء مدرسة الإسكندرية الأوائل كيف نتعامل مع العلم والفلسفة، وكيف نشهد لإنجيلنا بين طبقة المتعلمين.

٢- قدم لنا آباء مدرسة الإسكندرية المتأخرون كيف ندافع عن إيماننا خاصة في مواجهة الهراطقة بفكر خلاصي (سوتيرولوجي) أو بهدف رعوي واضح. بمعنى آخر دفاعنا عن الإيمان ليس غاية في ذاته، وإنما لجل نمو المؤمنين روحيًا، وكسب الهراطقة وأتباعهم إن أمكن.

٣- قدم لنا آباء مدرسة إنطاكية المعتدلون صورة حية عن أهمية التفسير التاريخي- اللغوي للكتاب المقدس.

إننا لا نستطيع تجاهل الاختلاف بين المدرستين، لكنني أرجو في هذا العمل أن أوضح حاجة الكنيسة المعاصرة إلى اتجاهات المدرستين معًا، بروح إنجيلي قوي يناسب الظروف المعصرة، وذلك بتفسير كلمة الله بمعانيها الروحية العميقة دون تجاهلٍ للمعاني التاريخية والنحوية.

مقدمة في
مدرسة إنطاكية

مدارس فكرية

مفهوم "مدرسة" ف تاريخ الفكر المسيحي لا يعني أنها مبنى معين يُستخدم للتدريس، ولا معهد بالمعنى الحديث كما يميز المدرسة هو ما يتعلمه أعضاؤها، وفى نفس الوقت توجه الإنتباه إلى دور التقليد في تشكيل المفاهيم اللاهوتية إذ يليق بالمدرسة أن تقدم فكر الكنيسة الحي التقليدي الذي يستمر عبر الأجيال، دون أن تحرم المعاصرين من أن يكونوا مفكرين يقدمون ما تسلموه في أصالة بما يناسب ظروف الكنيسة المعاصرة. حقًا تتبنى المدرسة مجموعة أفكار معينة، وطريقه تفسي الكتاب المقدس، والتمتع بالروحانية، وأسلوب التعليم، وطريقه التحليل المنطقي اللاهوتي. هكذا فإن مفهوم "مدرسة" لا يقف عند زمن معين.

أولا: المدارس المسيحية الشرقية

١ – مدرسة الإسكندرية

دُعيت مدرسة الإسكندرية "أول أكاديمية مسيحية" أو"أول جامعة كنسية كاثوليكية" أُقيمت لمواجهة العالم اليوناني، لا كعدو للكنيسة، وإنما لكي تجتذب المتعلمين والفلاسفة إلى الإيمان المسيحي. لقد استخدمت الفلسفة كسلاح في التعامل مع الفلاسفة الوثنيين، وبذلك ضربتهم في عقر دارهم. نُظر إليها كمدرسة تتبني دراسات متقدمة في العقائد المسيحية، وكمعهد للدراسات العليا المسيحية، تضم فلاسفة مسيحيين غايتهم أن تروي ظمأ المسيحيين الإسكندريين بالمعرفة الدينية وترفع الإيمان إلى المعرفة، وتؤسس لاهوت عامي على أساس إيماني. قدمت للعالم أول دراسات لاهوتية على أساس علمي.

بدأ التعليم المسيحي جنبًا على جنبٍ في صحبة العمل الكرازي بالإسكندرية. وكما يقول **القديس جيروم** أن المدرسة أسسها القديس مرقس نفسه كمدرسة تعليمية عن طريق السؤال والجواب Catechetical School، حيث كان طالبو العماد ينضمون ليتعلمون الإيمان المسيحي وبعض الدراسات الكتابية التي تؤهلهم للعماد.

في القرن الثاني صار لمدرسة الإسكندرية تأثيرها العظيم على حياة الكنيسة. فالكتابات الدفاعية والمقاومة للهرطقات شكلت المرحلة الأولى لتكوين علم اللاهوت. فقد صارت هناك حاجة إلى دراسة علم اللاهوت بطريقة عقلية تتناغم مع نمو الكنيسة، فيصير اللاهوت علمًا يُناقش بطريقة منطقية خلال دائرة الإيمان الكنسي.

صار لمدرسة إسكندرية شهرتها الأولى عام ١٨٠م حين صارت تحت قيادة عميدها القديس بنتينوس. لقد حاول تلميذه القديس إكليمنضس السكندري وخلفه في رئاسة المدرسة أن يقيم نظامًا (علميًا) للاهوت.

في القرن الثالث أزالت هذه المدرسة "تعدد الآلهة" بوسائل علمية، وفى نفس الوقت احتفظت بكل ما هو ذي قيمة في العلوم اليونانية وثقافتها. لقد كتب السكندريون على المتعلمين في العالم كله، لقد نقلوا المسيحية إلى الثقافة العالمية.

عندما عهد البابا ديمتريوس رئاسة المدرسة للشاب أوريجينوس بلغت المدرسة قمة شهرتها. بفضل القديس اكلمنضس والعلامة أوريجينوس فسرت مدرسة الإسكندرية الكتاب المقدس بطريقة رمزية، هذه التي استخدمها الفلاسفة اليونانية لزمان طويل في شرح الأشعار. لقد تبنى فيلون اليهودي السكندري، الفيلسوف المتدين، تفسير العهد القديم ليصالح التهود مع الثقافة الهيلينية، خاصة الأفلاطونية. وقد تبنى اللاهوتيون السكندريون طريقة فيلون في التفسير، وأعطوها مسحة مسيحية، فهمًا روحيًا أعمق. لقد اقتنعوا أن التفسير الحرفي التاريخي يناسب العامة المسيحيين، لكنه لا يروي ظمأ المتقدمين روحيًا. لقد حسب القديس إكليمنضس السكندري أن هذا النوع من التفسير يلزم استخدامه لأنه من الغباوة أن يظن فيض سخاء الله يمكن أن يمكن يُعَّلمه أحد بنصٍ معينٍ. إنه يُعلن عن نفسه للبشر حسب مستوى إدراكهم. وفى نفس الوقت فإن التفسير الحرفي يمكن أن يُقدم تفسيرًا غير لائق بالله وضد الإيمان، لذلك يجب طلب معانٍ اكثر عمقًا وسريًا بالسبة للكلمات والأحداث الكتابية.

لقد تبنوا التفسير الرمزي لأغراض دفاعية ولاهوتية. وقد عالج أوريجينوس مشكلتين واجهتهما الكنيسة الأولى بخصوص العهد القديم.

أ– كان اليهود الذين ارتبطوا بحرفية نبوات العهد القديم يتوقعون أن المسَّيا يتممها حرفيًا، كأن يكون ملكًا لهم يملك على العالم كله، لذا رفضوا يسوع أن يكون المسيا الحقيقي.

ب– رفض الغنوسيون العهد القديم، إذ يعثروا بسبب بعض العبارات التي تشير إلى الله أنه يغضب، أو أنه ندم أو غير فكره. لقد فسروا هذه العبارات بطريقة حرفية لا روحيًا.

لقد بلغت مدرسة الإسكندرية قمة مجدها تحت قيادة العلامة أوريجينوس الذي وضع النظام اللاهوتي، وطوَّر التفسير الرمزي للأسفار المقدسة. لقد اعتقد أن كلمات الكتاب المقدس هي جسمه، العنصر المنظور الذي يخفي فيه روحه، أو العنصر غير المنظور. هذا الروح هو الكنز المخفي في حقلٍ، مخفي وراء كل كلمة، وراء الحرف، بل وراء كل نقطة في الكتاب المقدس. يقول **العلامة أوريجينوس:** [كل ما في الكتاب المقدس هو سري. فإن كان الرب والله (الآب) هما روح، يلزمنا أن نسمع ما يقوله الروح عنهما بطريقة روحية].

في القرنين الرابع والخامس تمتعت الكنيسة بطفرة جديدة. فقد واجه عمداء مدرسة الإسكندرية مشاكل لاهوتية كثيرة، وقامت بالدفاع عن الإيمان الأرثوذكس، خاصة ضد الأريوسية والنسطورية.

بينما استمر القديسان أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير في ممارسة التفسير الرمزي للكتاب المقدس بذلا كل الجهد للدفاع عن الإيمان الأرثوذكسي. لقد اتجه بالأكثر نحو اللاهوتيات في تفسير الكتاب المقدس، ليس من اجل الحوار الجدلي ضد الهراطقة وإنما أيضًا من اجل الاهتمام بالعمل الرعوي.

بالغ **العلامة أوريجينوس** في استخدام التفسير الرمزي فكان رد الفعل العكسي لهذا

مقدمة في مدرسة أنطاكية

مدرسة أنطاكية

إن فكرة "مدرسة" في تاريخ المسيحي لا تُعني مبنى معين للتدريس ولا مدرسة عُليا بمعناها الحديث. المدرسة تميزها عادة مجموعة أعضائها، ومع ذلك فإنها توجه الاهتمام إلى دور التقليد في تشكيل المفاهيم اللآهوتيه. وعضو المدرسة يمكن أن يكون في استمرارية مع المفكرين الأوائل وأيضًا يمكن أن يكون مفكرًا أصيلاً في هذا المجال. ويمكن الإشارة إلى مجموعة معينة من الأفكار:

طريقة لتفسير الكتاب المقدس، شكل من الروحانية، أسلوب للتدريس، طريقة للتحليل المنطقي اللاهوتي أو مؤسسه. وفكرة المدرسة لا ترتبط بزمن معين.

أولاً: المدارس المسيحية الشرقية

١. مدرسة الإسكندرية:

لقد سُميت مدرسة الإسكندرية "الأكاديمية المسيحية الأولى" أو "الجامعة الأولى". ولقد أُسست لمواجهة العالم اليوناني، لا كعدو ولكن لكي تجذب الناس المتعلمين جيدًا والفلاسفة إلى المسيحية.

لقد أُستخدمت الفلسفة كسلاح للتعامل مع الفلاسفة. وقد كان يُنظر إليها على أنها مدرسة متقدمة في دراسات المذهب المسيحي، أو مؤسسة للدراسات المسيحية المتقدمة. مدرسة للفلاسفة المسيحيين الذين كان غرضهم هو ارتواء عطش مسيحي الإسكندرية إلى المعرفة الدينية، ورفع الإيمان إلى المعرفة، وتأسيس لاهوت علمي على أساس العقيدة، وقد قدمت للعالم أول دراسات لاهوتية منظمة.

ولقد بدأ التعليم المسيحي مع الوعظ خاصة في الإسكندرية. وطبقًا للقديس جيروم لقد أسسها القديس مرقس نفسه، كمدرسة مختصة بالتعليم بالسؤال والجواب حيث سُمح للدراسين أن يتعلموا الإيمان المسيحي وبعض الدراسات الإنجيلية لكي يؤهلوا للعماد.

ومع القرن الثاني الميلادي أصبحت هذه المدرسة ذات نفوذ على الحياة الكنسية. وأدب القرن الثاني الميلادي الدفاعي وضد الهرطقة اشتمل على المرحلة الأولى في تكوين العلم اللاهوتي. وتطلب قانون الحياة الفكرية والنمو أن يتطور اللاهوت تطور منظمًا وشاملاً بقدر الإمكان وهكذا يُرفع إلى درجة العلم.

والمدرسة اللاهوتية بالإسكندرية اشتهرت أولا عام ١٨٠م عندما كان يديرها القديس بانتينوس والقديس كليمنت تلميذه وخليفته، قام بأول محاولة لإقامة نظامًا لاهوتيًا.

وفي القرن الثالث قَهرت هذه المدرسة الشرك (القول بتعدد الآلهة) بوسائل علمية، ونفس الوقت حافظت على أي شيء كان ذا قيمة من العلوم والثقافة اليونانية. ولقد كتب الإسكندرانيون للمتعلمين في العالم كله. وبهذا نقلوا المسيحية إلى عالم الثقافة.

وعندما عهد الأسقف ديمتريوس بإدارة المدرسة للشاب أوريجانوس حققت تحت إدارته أعظم سُمعة. وتحت تأثير القديس كليمنت والعلامة أوريجينوس فسّرت مدرسة الإسكندرية الكتاب المقدس طبقًا للطريقة الرمزية للشرح والتفسير التي كانت مستخدمة منذ زمنٍ بعيد من قِبَلْ الفلاسفة اليونان في تفسير الشعراء.

والدارسون اليهود مثل الفيلسوف المتدين فيلو تبنّاها أيضًا لتفسير العهد القديم ليُصالح اليهودية مع الهيلينية، وخاصة الأفلاطونية، وتبنى اللاهوتيون الإسكندرانيون نظام فيلو في التفسير و وأعطوها فهمًا مسيحيًا وروحيًا أكثر.

وقد وجدوا أن الشرح الحرفي او التاريخي اللغوي مناسبًا لعامة المسيحيين. ولكنها لا يمكن أن تُرضي حب استطلاع المتقدمين روحيًا. واعتقد القديس كليمنضوس أن هذا الأسلوب يجب أن يُستخدم لأن عظمة اللَّه

لا حدّ لها حتى أنه من الحماقة الاعتقاد أن تعليمًا واحدًا لابد أن يكون في نص معين، وهو (اللَّه) يكشف نفسه للناس طبعًا لمستوى الفهم الذي يعدو به أو تكون. وفي نفس الوقت قد يؤدي إلى نتائج لا تساوي مع اللَّه أو تكون ضد الإيمان ومن هنا فكروا في إيجاد معنى أكثر عمقًا وغريبًا للأقوال والحقائق الإنجيلية.

وقد اتخذ هذا الاقتراب الرمزي في الأغراض الدفاعية واللاهوتية. ويناقش العلامة أوريجانوس مشكلتين واجهتهما الكنيسة الأولى بخصوص العهد القديم:

One. اليهود يتمسكون بحرفية نبوات العهد القديم كانوا ينظرون المسيا يحقق تلك النبوات بأن يكون ملكهم الذي يحكم العالم كله ولذا رفضوا أن يكون يسوع المسيا الحقيقي.

Two. ورفض الغنوسيون العهد القديم لأنهم خدعوا ببعض من فقراته التي إلى اللَّه أنه غاضبًا أو أنه ندم أو أنه غير رأيه، فهم فسروا تلك الفقرات حرفيًا وليس روحيًا.

وقد وصلت مدرسة الإسكندرية أوج عظمتها في ظل العلامة أوريجانوس الذي أسس النظام اللاهوتي وطور التفسير الرمزي للكتب المقدسة، فقد اعتقد أن كلمات الكتاب المعدس هي الجسم أو العنصر المرئي الذي يخبئ الروح او العنصر الغير مرئي وهده الروح هي الكنز المخبأ في الحقل، مُخبأ خلف كل كلمة، وكل حرف ولكن حتى في كل قيد أنملة مستخدمه في كلمة اللَّه المكتوبة. وهكذا كل شيء في الكتاب المقدس هو سر ويقول العلامة أوريجينوس: "ولهذا لو أن الرب واللَّه هما روح يجب علينا أن نسمع بالروح تلك الأشياء التي يقولها الروح.

وفي القرن الرابع والخامس قفزت المدرسة قفزة ثانية. فقد واجه عمداء المدرسة مشاكل لاهوتية كثيرة ودافعوا عن الإيمان الأرثوذكسي وخاصة ضد الأريوسية والنسطورية، بينما استمر القديس أثناسيوس والقديس كيرلس في ممارسة الأسلوب الرمزي في تفسير الكتاب المقدس. إلا أنهما أعطيا اهتمامًا خاصًا بالذي يؤيد الإيمان الأرثوذكسي وقد أصبحا أكثر تألقًا بشرحهما ليس فقط في احتجاجاتهم الدفاعية ولكن أيضًا في اهتماماتهما الرعوية.

وقد بالغ العلامة أوريجينوس في استخدام الرمزية ولذلك كان هناك رد مضاد حتى في مصر. وفي القرن الثالث كتب نيبوس وهو أسقف مصر "دحض الرمزية".

وتحت تأثير اليهود الذين تمسكوا بأن الغرض من كل التفاسير هو ترجمة كلمة اللَّه إلى حياة تحول القديس جيروم من شروحاته الرمزية إلى احترام متزايد للمعنى الحرفي للكتاب المقدس.

وكرد فعل لانتشار لاهوت مدرسة الإسكندرية ظهرت مدرستان أخريان واحدة تُعتبر كامتداد لها والأخرى كضد لها.

ويقول ج كويستين أن آسيا الصغرى وسوريا وفلسطين أصبحت ميدان للمعركة بين أصدقاء العلامة أوريجينوس ومعارضيه، ومن الهام أن نلاحظ أن حتى معائضيه يدينون له بأكثر مما يعترفوا به، مدرستان صارتا مركزان للجدل: الواحدة في قيصرية فلسطين أسسها العلامة أوريجينوس نفسه وقد استمرت في عمله بعد موته والأخرى في أنطاكيا في سوريا وقد تأسست معاضة لتفسيرات العلامة أوريجينوس الرمزية للكتاب المقدس.

ومدرسة أنطاكيا المتأثرة بالمعلمين اليهود تبنت المعنى الحرفي للكتاب المقدس، وقد أسسها لوقيانوس الذي أكد كثيرًا على الترجمة الحرفية للنص الكتابي وتاريخ لغته وقد وصلت هذه المدرسة أوج عظمتها بينما ديودور الطرسوسي كان عميدها فهو وتلاميذه: القديس يوحنا ذهبي الفم ومليتوس الأنطاكي وثيؤدور المويسيوستي وثيؤدوريت القيرسي تمسكوا بمبادئ لوقيانوس.

وعلى أي حال، تحت تأثير مدرسة الإسكندرية التعليمية اختلف الإسكندريون اللاحقون عن سابقيهم في أنهم استخدموا الشروح الرمزية الكتاب المقدس مقتصرين فقط على أغراض التوفيق بينما في مناقشاتهم المدرسية والجدلية فضلوا المعنى التاريخي واللغوي دون تجاهل المعنى الرمزي (مدرسة الإسكندرية الجديدة).

٢. مدرسة قيصارية:

وكان لقيصرية الحق في أن تصبح ملجأ لأوريجينوس بعد نفيه من مصر، وقد أسس مدرسة جديدة في قيصرية فلسطين عام ٢٣٢م وهنا أُنشئت مكتبة مسيحية مشهورة بسرعة وكانت تدين بتطورها خاصة للقس بامفيليوس مدير المدرسة اللاّحق، وقد كانت مركزًا للدراسات والعلم وهنا تلقى القديس غريغوريوس الثوماتورغس وأوسابيوس القيصري تدريبهما اللاّهوتي وعن طريق قيصرية أثر التقليد السكندري على اللاهوتيين البارزين في كبادوكية وخاصة القديس باسيليوس الكبير وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيسي الذين سعوا في مصالحة روح الإسكندرية مع روح أنطاكية.

٣. مدرسة أنطاكية:

إن الاتجاهات الرمزية لمدرسة الإسكندرية خاضها بوضوح مجموعة ظهرت قرب نهاية القرن الثالث الميلادي وهذه كونت مدرسة أنطاكية وأيضًا سُميت "المدرسة التفسيرية" لأن أتباعها عملوا بصفة أساسية في مجال شرح الكتاب المقدس، فشرحوا الكتاب المقدس بصفة أساسية على أساس المعنى التاريخي اللغوي وكثير من الدارسين يقولون أننا بحاجة إلى مدرستين، ويقول دوكري: "مدرسة الإسكندرية أدت بالروح إلى مملكه من المعرفة الحقيقية حيث أن رؤية الحق تكشف، والنظرية الأنطاكية قادت الناس إلى حياة خلاقية حقة تمت في الحيز وهذ النمو يمكن أن يستمر إلى الأبدية".

لوقيانوس السموساطي (٣١٢) يُعتبر مؤسس هذه المدرسة فقد قام بالتدريس في أنطاكية ثاني أعظم مدينة يونانية في الشرق المشهورة بمدارسها الوثنية منذ الستينات من القرن الثالث الميلادي، وأعظم فترة لهذه المدرسة أدخلها ديودور الطرسوسي، فقد تلقى تعليمًا عالميًا ولاهوتيًا دقيقًا في مدينة أنطاكية موطنه الأصلي وكذلك في أثينا وبعد ذلك قضى وقتًا طويلاً معلمًا في أنطاكية حيث أسس الشهرة لمدرستها في تفسير الكتب الدينية، وكان القديس يوحنا ذهبي الفم وثيؤدور الموبسيوستي أشهر تلميذان له، وقد طرده من أنطاكية الإمبراطور فالنس، الذي بعد موته عام ٣٧٨م أصبح أسقفًا لطرسوس. وكان تلاميذ ديودور الطرسوسي هم ميليتوس الأنطاكي ويوحنا ذهبي الفم وثيؤدور الموبسويستي.

ثيؤدور الموبسويستي أعظم مفسر للكتب الدينية في مدرسة أنطاكية.

كتب تعليقات تقريبًا على معظم الكتاب المقدس والمدرسة النسطورية تستهويها نفوذه على أنه الشارح للكتب المقدسة بامتياز. ولكنه أيضًا عالج في كتاباته كثير من المسائل اللاهوتية في عصره بطريقة مستقلة تمامًا. وكأستاذه ديودور أُعتبر أرثوذكسيًا أثناء حياته، ولكن بعد موته فقط أثناء المحاكمة النسطورية هوجم على أنه صاحب الآراء الهرطقية في الشرح اللاهوتي لشخص السيد المسيح وأعماله. وقد كان نسطور تلميذه. وينتمي نسطور وثيؤدوريت القيرسي أيضًا إلى المدرسة اللاهوتية واستخدام ذو جانب واحد للطريقة التاريخية اللغوية أدت ببعض ممنفيها إلى أخطاء يمكن شرح أجزاء منها بالطريقة العقلية (الرغبة في تخليص العقيدة المسيحية من كل عناصر الغموض بقدر الإمكان) قادهم إلى الأريوسية والماكيدونية والأبللونارية والبلاجية والنسطورية.

وبعد الحكم على نسطور استمر اللاهوت الأنطاكي يُغرس في نصيبين وأودسا بين النسطوريين.

٤. المدرسة القومية السورية في الرُها

أثرت مدرسة أنطاكية في مدرسة أودسا من النصف الأول من القرن الثالث ، وهذه المدرسة اللاهوتية في أودسا كانت عبارة عن مدرسة عليا لرجال الكهنوت الفرس ومركزًا للنشاط الأدبي والأكاديمي في سوريا. وقد ازدهرت في القرن الرابع في ميسبوتانيا وكان القديس أفرايم السرياني أعظم معلم بها (٣٠٦-٣٧٣) وهو أهم كاتب في عصر الآباء السريان. ويعتبر واحد من أعظم الآباء والشعراء السريان، وقد لُقّب بـ "قيثارة الروح القدس" وقد رنم اشرق كله مدائحه. وكانت المدرسة متخصصة في الترجمة الحرفية للكتاب المقدس. والمدرسة السورية الشرقية هي شرقية لو قورنت بسوريا الغربية فهي أكثر شاعرية وصوفية وتأملاً، ضد التغيير أو التطور أو أي فكر تأملي. وقد تأثرت كنيسة سوريا تأثرًا عميقًا وأصيبت بأضرار لا علاج لها نتيجة للهرطقات الخاصة بشخص السيد المسيح وأعماله. وقد كانت أودسا آخر دعامة للنسطورية في الإمبراطوري، وقد أغلقها رينون عام ٤٨٩م لهذا السبب، ولكن على أنقاضها قامت المدرسة النسطورية في نصيبين في فارس.

٥. المدرسة النسطورية في نصيبين:

أنشأها الأسقف باسوماس ٤٥٠-٤٩٥ وخرَّجت أول مدرِّس مشهور لها في شخص مارسيس.

مارسيس

من أهم ممثلي النسطورية، وقد أصبح عميدًا لمدرسة أودسا عام ٤٧٣، وهو الذي أسس مدرسة نصيبين عند دعوة الأسقف بارسوما. وتوفى بعد عام ٥٠٣ بوقت قصير عن عمر ١٠٣ عام، وترجع أهميته إلى أنه شاعر وغظاه الشعرية وأغانيه الحوارية. وكذلك الترانيم الليتورجية من بين مؤلفاته. وذلك بالإضافة إلى تعليقاته على العهد القديم.

٦. مدرسة أوغريس التصوفية

أوغريس البنطي تلميذ المكاريبان، وكان ملقبًا بونتيكوس وهو أول راهب يكتب مؤلفات فكرية كثيرة، كان لها أثر عظيم في تاريخ النقاء المسيحي. فهو في الواقع أول مؤسس للرهبنة المتصوفة، وهو أخصب وأهم مؤلف روحي بصحراء مصر. وقد جرس رهبان الشرق والغرب على السواء كتاباته كوثائق كلاسيكية، ونصوص لا تُقدر بثمن. وعاشت أفكاره في بلاديوس وكذلك في الكُتَّاب البيزنطيين مثل يوكنا كليماكوس، وهيسيشاسيس ،ومكسيموس المعترف ،ونكيتاس ستثيتوس إلى هيسشاستس. وفي المؤلفين السوريين فيلوكسينوس الماجوجي واسحق النينوي ويوحنا باركالدون حتى بارهريوس. وفي الغرب يوحنا كاسيان. وفي الواقع مدرسة إيفا غريان الشرقية المتصوفة تمتد من القرن الرابع إلى القرن الخامس عشر بل وإلى القرن العشرين.

والروحانية قائمة على تصوف الإسكندرانيين العُظام.

٧. المدرسة الواقعية التقليدية

القديس أبيفانيوس السلاميسي (٣١٥-٤٠٣) القبرصي، هو الممثل الأول لمدرسة هذا الفكر. وقد ولد من أبوين مسيحيين في فلسطين بالقرب من بوثيرابوليس. وكرس نفسه منذ شبابه لدراسة اللغات والعلوم المقدسة، وقد أتقن اليونانية والسريانية والعبرية (الأرامية) والقبطية وعرف بعض اللاتينية. ولقد مارس هليريون تأثيرًا كبيرًا على شاب فلسطين. وقدم أبيفانيوس إلى زيارة مصر ليعرف حياة النسك فيها وعاد إلى وطنه. وفي عام ٣٣٥ أسس ديرًا ظل رئيسًا له لمدة ثلاثين عامًا، وفي عام ٣٦٧ اختاره أسقف قبرص لعلمه وطهارته ليكون مطرانًا في كونستاتيا وهي سلامينا القديمة، والعلامات المميزة لأبيفانيوس هي التقشف في الحياة والقداسة والنشاط في نشر الحركة الرهبانية والحمس الملتهب للدفاع عن الإيمان المسيحي.

والقديس أبيفانيوس السلاميسي كان مؤمنًا متقدًا بإيمان الآباء. وقد كان ضد التفكير الميتافيزيقي وهذا يعلل عجزه الكامل عن فهم العلامة أوريجينوس. وهذا أدى إلى كراهية حقيقية للعلامة أوريجينوس، وقد اعتبر

العلامة أوريجينوس مسئولاً عن الأريوسية، واعتبر تفسيراته الرمزية أصلاً لكل الهرطقات، وأدان الأوريجانية على أنها أخطر من كل الهرطقات. وفي عام ٣٩٢ ذهب إلى أورشليم موطن معجبي العلامة أوريجينوس من ذوي النفوذ وفي حضور يوحنا أسقف المدينة وحشد كبير في كنيسة القبر المقدس ألقى عظة متقدة ضد العلامة أوريجينوس، وقد رفض يوحنا إدانة العلامة أوريجينوس وانفصل أبيفانيوس من الارتباط به وانحاز روفينوس إلى جانب يوحنا، بينما تحول القديس جيروم من معجب للعلامة أوريجينوس إلى عدو له، وحاول أن يحصل على إدانة العلامة أوريجينوس من يوحنا، ولكن الأسقف رفض ثم رسم أبيفانيوس بولينيان أخ القديس جيروم في إبراشية يوحنا ضد رغبة يوحنا. وأخيرًا قام بمصالحتهما ثاوفيلوس الإسكندري والاخوة الطوال. فالأول أعجب بالعلامة أوريجينوس أولاًا ولكن تحت ضغط جمهور الرهبان المصريين الأوريجنتيين وطلب الاخوة الطوال من صحراء نتريا، وفي مجمع عقد في قبص عام ٤٠٢ أدان القديس أبيفانيوس العلامة أوريجينوس وكتاباته. وقد ذهبوا إلى القسطنطينية بحثًا عن ملجأ. وقد كان القديس ذهبي الفم إلى جانبهم، فذهب القديس أبيفانيوس إلى القسطنطينية ليشن حربًا بصفة شخصية ضد يوحنا ذهبي الفم.

ثانيًا: المدرسة المسيحية الغربية:

المدرسة الأفريقية:

تحت عنوان "ترتليان والمدرسة الأفريقية" كتب شاف:

"في هذه الفترة لا تعرض الكنيسة الغربية إنتاجًا علميًا مثل الكنيسة الشرقية. وكانت الكنيسة الرسولية تسودها اليهودية، وضد الكنيسة النيقية، واليونانية،وما بعد النيقية ثم روما.والكنيسة الرومانية كانت أولا تسودها اليونانية، وكتَّابها الأوائل مثل كليمنت، وهيرما، وإيريانوس، وهيبوليتس كتبوا فقط باليونانية، وتبدأ المسيحية اللاتينية في الأدب في نهاية القرن الثاني الميلادي، ولم تكن حينئذ في إيطاليا، ولكن في شمال أفريقيا، ولم تبدأ في روما بل في قرطاجنة، ولم تبدأ بالفلاسفة المفكرين الذين اتعنقوا المسيحية، ولكن بالمحامين العمليين والخطباء... وقد أعطت شمال إفريقيا أيضًا الكنيسة الغربية الكتاب المقدس في أول نسخة باللاتينية. وكان يسمى "إيتالا" وهو أساس الفولجاتا التي ترجمها جيروم والذي لا يزال الإنجيل الثابت في روما.

وكوينتس سبتيموس ترتليانوس هو أب اللاهوت اللاتيني ولغة الكنيسة.

ويقول باتريك ج هاصل "أن الأدب الغربي هو باللغة اللاتينية وهو روماني في الروح، ومتيقظ وعلملي وأقل مثالية وأقل تمعنًا عن الكتابات اليونانية، وعلى العموم فغرضه هو الضروري والمفيد.

وهناك مجموعة مختلفة متباينة من الكتَّاب والمؤلفين، والعنصر السائد هو العنصر الدفاعي ترتليان وهيبوليتس يونان، وهيبوليتس وفكتورينس الباثااي يمثلان شروح الكتب الدينية، وكوموديان هو أول الشعراء اللاتين المسبحين. والكتاب قليلون وخاصة في إفريقيا، وأعظم ما جابهوه هو المصطلحات، وكان من انتصاراتهم العظيمة هو الابتكار وتشكيل اللغة الغنية. والفضل يرجع إلى ترتليان الذي مارس تأثيرًا هائلاً على اللاهوت الغربي.

وقد ولد مونتس سبتيموس ترتليانوس في قرطاجنة عام ١٦٠. وكان ابن لقائد مئة يعمل في خدمة والي إفريقيا الروماني، وقد تلقى تعليمًا دقيقًا وصار محاميًا. وفي حوالي عام ١٩٣ اعتنق المسيحية ورسم قساوسة وبدأ مسلكًا أدبيًا طويلاً دفاعًا عن المسيحية، وفي حوالي عام ٢٠٢ تحول إلى مانونيا وهاجم الكنيسة الأرثوذكسية بعنف وأسس جماعة الترتليانيون وعاش إلى سن متقدم جادًا. وقد توفى بعد عام ٢٢٠م. وهو غالبًا ما كان يكتب دون مراعاة التسامح مكتسحًا المعارضة دون اقناع، وتعبيره شجاع ومضبوط وعنيف ومتورط، وهو لا يهم بجمال الشكل.

ترجمة قلدس حنا الراهب.